ص ص 74-91 P-ISSN : 2571-9807 / E-ISSN : 2710-8244

توظيف الاتساق (السبك) في تحليل النص الديني

Employing coherence (casting) in analyzing the religious text

د . بن يطو بن عمران*

جامعة يحيى فارس– المدية – الجزائر

habibeelhabibe2018@gmail.com

تاريخ الارسال: 04-02-2021 تاريخ القبول:03-04-2021 تاريخ النشر: 10-04-2021

الملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية التطرق إلى توظيف أهم مبدأ من مبادئ لسانيات النص في تحليل النص الديني، باعتبار أن لسانيات النص منهجا لسانيا معاصرا يستثمر نظريات لسانية متداخلة ، و تقوم على مبادئ متعددة في تحليل النصوص المتنوعة متجاوزة بذلك مستوى الجملة إلى المستوى النصي أي البحث في العلاقات بين الجمل داخل بناء النص للوقوف على معانيه الكلية . وانطلاقا من هذا طرح التساؤل الآتي :

- ماهي أهمية توظيف أهم مبادئ لسانيات النص في تحليل النص الديني؟ و ما علاقته بتعليم اللغة العربية؟

الكلمات المفتاحية : لسانيات النص ، النص الديني ، تعليم اللغة العربية ، مبادئ ، تحليل النص .

Abstract:

This research paper tries to Addressing the employment of the most important principle of text linguistics in analyzing the religious text, considering that the linguistics of the text is a contemporary linguistic approach that invests in overlapping linguistic theories and is based on multiple principles in analyzing various texts bypassing the sentence level to the textual level i.e. Researching the relationships between sentences within the text structure to find out the meanings of the college. Based on this, the following question was raised:

- What is the importance of employing the most important principles of textual linguistics in analyzing religious text? And what is its relationship to teaching Arabic?

Key words: linguistics of the text, religious text, teaching the Arabic language, principles, text analysis.

*المؤلف المراسل: د. بن يطو بن عمران ، الإيميل:habibeelhabibe2018@gmail.com

مقدمة:

لقد تعددت المناهج اللسانية في العصر الحديث التي تناولت دراسة اللغة في مستوياتها المختلفة، وتطورت شيئا فشيئا، فتنوعت وجهات النظر و مبادئ التحليل ، فمنها التي ركزت على البنية المجردة للوحدات اللغوية ، و منها التي اقتصرت على دراسة الجملة معتبرة إياها الوحدة الكبرى للتحليل اللغوي، وقد أثبت تطور البحث اللساني محدودية هذا النوع من الدراسات ، و قصورها في التحليل اللغوي . فظهر توجه آخر انتقل من مستوى الجملة إلى مستوى النص و هو ما عرف بلسانيات النص أو نحو النص الذي يبحث عن وسائل ترابط النص و تماسكه ومعايير النصية.

و قد ظهرت دراسات و أبحاث عديدة تطبق مبادئ هذا المنهج على القرآن الكريم بصفة خاصة متخذة بعض السور القرآنية كنماذج للدراسة ، كما طبقت على بعض النصوص من التراث اللغوي العربي، و بما أن النص الديني (القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف) يعدّ أرقى النصوص اللغوية فصاحة وبلاغة، وبذلك يكون أكثر النصوص اتساقا وانسجاما (أي سبكا و حبكا)، و بالتالي فهو مجال خصب لهذا النوع من الدراسات اللسانية الحديثة ، و يقدّم لها خدمة جليلة لأنه سيبعد عنها الجفاف و الجفاء و التجريد، ويضفي عليها الطلاوة و الطراوة، و يبعث فيها روح القيم العارضة و يطعمها بالفوائد الواردة.

2 – تعريف لسانيات النص و أهم مبادئها

2 – 1 – تعريف لسانيات النص :

عرّفها الباحث المغربي جميل حمداوي بأنها« ذلك الاتجاه اللغوي الذي يُعنى بدراسة نسيج النص انتظاما واتساقا و انسجاما، و يهتم بكيفية بناء النص و تركيبه ... (فهي) تبحث عن الآليات اللغوية والدلالية التي تساهم في انبناء النص و تأويله ... (و بذلك) تتجاوز الجملة إلى دراسة النص والخطاب... (تتعامل) مع النص باعتباره نظاما للتواصل والإبلاغ السياقي . »[1]

و استنادا إلى هذا التعريف نجد أن لسانيات النص تلتقي مع العلوم التي تحلل الخطاب القرآني (التفسير، الفقه، أصول الفقه ...) في بعض آليات تحليل النص عموما ، من خلال " أن لسانيات النص تبحث عن الآليات اللغوية و الدلالية التي تساهم في انبناء النص و تأويله ." و كذلك أنها " تتعامل مع النص باعتباره نظاما للتواصل و الإبلاغ السياقي. "و هذا ما يجعلها مؤهلة لتحليل النص الديني " القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف".

2 – 2 – أهم مبادئ لسانيات النص :

تتضمن لسانيات النص مبادئ أساسية يراعيها الباحث عند تطبيقه لهذا المنهج اللساني الحديث في تحليل النصوص و الخطابات المختلفة ، من أهمها ما يلي : الاتساق (السبك) و الانسجام (الحبك)، المقصدية، الحوارية، الإبلاغ و التواصل ، المقبولية، السياق، التناص، التشاكل . سنحاول توظيف أحد هذه المبادئ في تحليل النص الديني(الاتساق أنموذجا) دون تعسف و لا إقحام بحيث لا نقوم بِلَيّ عنق النص المقدس وإخضاعه لِمَا يتعارض مع مقاصده و حقيقته و قداسته .

و قد تناول العديد من الباحثين تطبيق بعض هذه المبادئ (الاتساق و الانسجام على الخصوص) على بعض سور القرآن الكريم خاصة في رسائل الدكتوراه . من بينهم الباحث المتخصص في لسانيات النص "مفتاح بن عروس" ، رسالته للدكتوراه " الاتساق و الانسجام في القرآن الكريم – سورة البقرة أنموذجا. و الباحث "عبدالكريم حاقة" ، رسالته للدكتوراه " إبلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النص – دراسة في سورة البقرة ". والباحث "مصطفى جلال" ، رسالته للدكتوراه " تماسك النص و انسجامه في سورة الكهف . و غيرهم من الباحثين . و من الذين طبّقوها على الحديث الشريف نجد الباحث "عاصم شحادة علي" في مقاله : "مظاهر الاتساق و الانسجام في تحليل الخطاب: الخطاب النبوي في رقائق صحيح البخاري أنموذجا".

3 – توظيف الاتساق (السبك) في تحليل النص الديني

لا نعني بهذا العنوان تطبيق هذا المنهج الغربي بحذافره على النص الديني (القرآن والحديث) كما هو، بل يجب الحذر في التعامل مع النص المقدّس ، و مراعاة ما يتناسب مع خصوصيته ، و التزام ضوابط تراعي المقاصد النزيهة الشريفة التي تقتضي تنزيهه عن كل ما يتنافى مع حقيقته ، لأن « النص القرآني عماد الحضارة الإسلامية ، ومؤسسها ، أما التأويلات المعاصرة التي تحوم حول النص الكريم ولا تقربُ النص ، فلا تُتخذُ بالضرورة منهجا لقراءة النص القرآني ، لأنها لا تتمتع بمرجعية شرعية تُبوِئُها المقعد اللائق في تفسير دلالات النص و تأويله ، إلا بالقدر الذي تلتزم بخصوصية هذا النص ، وتوظف المناهج الحديثة بما يسمح لها بملامسة المقاصد التي يصرح بها النص و يقوم عليها.»[2] و من بين مبادئ لسانيات النص التي يمكن بحثها في القرآن الكريم و الحديث الشريف باطمئنان ما يلي :

3 – 1 – الاتساق (cohésion)

اختلف اللسانيون العرب المحدثون في وضع مقابل موحد للمصطلح الأجنبي (cohésion) فوضعوا عدة مقابلات له منها : السبك ، و التماسك ، و الربط ، و التضام، و الالتحام .[3] هو أحد معايير نصية النصة ، و يرتكز على دراسة العلاقات بين العناصر الشكلية المكونة للنص . عرفه " carter " بصورة مختصرة بقوله : « يبدو لنا الاتساق ناتجا عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية ، أما المعطيات غير اللسانية (مقامية، تداولية) فلا تدخل إطلاقا في تحديده.»[4]

و«يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص / خطاب ما، و يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته . و من أجل وصف اتساق الخطاب/النص، يسلك المحلل – الواصف طريقة خطية متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر و الإشارات المحلية ، إحالة قبلية أو بعدية ، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، و

الاستبدال ، و الحذف ، و المقارنة ، و الاستدراك .»[5] و كل هذه الوسائل اللغوية متوفرة في النص القرآني و الحديث النبوي الشريف بكثرة يمكن البحث عما تؤديه من دلالات و معان و ما تحيل إليه من مقاصد.

و تكمن «أهمية السبك في خلق نصية النص ، و تحقيق الاستمرارية و الاطراد، والافادة، و فهم النص وتفسيره، و أبرز من ذلك كله و هو جعل النص مجموعة من الوحدات المتداخلة و المتشابكة والمتكاملة يسري من خلالها تدفق دلالي تفضي فيه كل فكرة إلى أختها ...»[6] و هذا الكلام يبين أهمية لسانيات النص بالنسبة لتعليمية اللغة العربية فيما يتعلق بدراسة علاقات الوحدات اللغوية التي تساهم في بناء النص و علاقتها بخدمة مستويات اللغة ، بالإضافة إلى دورها في تفسير النص وفهمه. و تنقسم وسائل الاتساق(السبك) إلى قسمين أساسيين كما يلي :

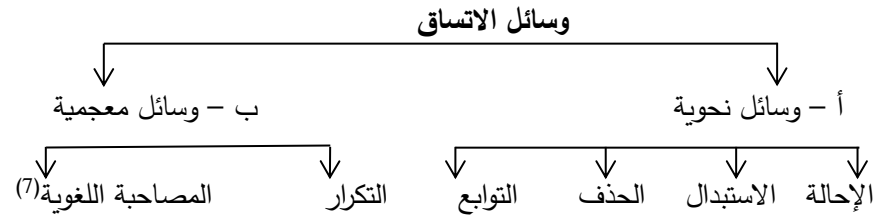

أ – **الاتساق النحوي** : تتمثل أدوات الاتساق النحوي في :

3 – 1 – 1 – الإحالة Référence

يعتبر الباحثان هالداي و رقية حسن أن «العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل ، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها ... وهي : الضمائر و أسماء الإشارة وأدوات المقارنة. تعتبر الإحالة علاقة دلالية ، و من ثَمّ لا تخضع لقيود نحوية ، إلا أنها تخضع لقيد دلالي و هو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر

المحيل و العنصر المحال إليه.»[8] وتنقسم الإحالة كما هو معلوم إلى إحالة مقامية خارجية أي تحيل إلى خارج النص ، و إحالة نصية داخلية قبلية أو بعدية.

و قد تفطن المفسرون على الخصوص و المهتمون بتحليل النص الديني عموما إلى أهمية العناصر المحيلة و دورها الأساسي في تأويل النص من خلال ربطها بما تشير إليه وعلاقتها به لتحديد مقاصد النص التي قد تخفى على المتلقي غير المتمكن من فهم آليات التعبير اللغوي العربي الفصيح الصحيح فهما دقيقا. وتظهر أهمية الإحالة في تفسير النص الديني أنها تسهم في تحديد الأحكام الشرعية وتوضيحها و تزيل اللبس الوارد في النص إذا ما تمت الإشارة إلى ما تحيل إليه بشكل صحيح ، و قد يحدث اختلاف في تأويل النص الديني بسبب الاختلاف في تحديد عود المحيل على المحال إليه ، بالتالي ينتج عن ذلك أحيانا اختلاف في استنباط الأحكام الشرعية من النص الواحد. و نجد أمثلة على ذلك في كتاب "أسباب اختلاف المفسرين".[9]

و من بين وسائل الاتساق الإحالية نجد الضمائر فهي تقوم بدور مهم في تماسك الجمل و ترابطها من خلال وجود التطابق الدلالي بين العناصر المحيلة و المحال إليها . ومن أمثلة ذلك الحديث الآتي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :« **كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَ عِرْضُهُ وَمَالُهُ.**» رواه مسلم[10] . ساهم عود ضمير الغائب المفرد (ـــه) في تماسك النص و ترابط الكلام بعضه ببعض ، فأحال هذا الضمير إحالة داخلية قبلية إلى مرجوع واحد هو شخص المسلم ، و هذه الإحالة بيّنت اشتراك العناصر المذكورة في حكم حرمة المسلم باعتبارها أجزاء مرتبطة به ، و هذا ما يحقق استمرارية الدلالة في هذا النص، لوجود علاقات دلالية بين جمله. و قد ساندها في ربط الكلام اللاحق منه بالسابق أداة الوصل الممثلة في حرف العطف (الواو) الذي يفيد الاشتراك في الحكم. و من أمثلة اختلاف المفسرين في تحديد إحالة الضمير في النص القرآني ما يلي : قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا

عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ **فَإِنَّهُ** رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ...﴾ [الأنعام 145]. « فإن الهاء في قوله (فإنه) ضمير ، فإلى أي اسم يعود ؟ ذهب جماعة منهم الماوردي و ابن حزم إلى أنه يعود إلى (خنزير)، لأنه أقرب مذكور.»[11] و بذلك اعتبروا أن التحريم ليس مختصا بلحم الخنزير فقط بل يشمل جميع ما يحتوي عليه من شعر و عظم وغيره . وذكر أبو حيان في تفسيره و كتبه النحوية أنه يعود إلى (لحم) المضاف إلى الخنزير، معللا ذلك بقاعدة نحوية و هو أن الضمير إذا سبقه مضاف و مضاف إليه، وأمكن عوده على كل منهما على انفراد ، فإنه يعود على المضاف دون المضاف إليه ، لأن المضاف هو المحدّث عنه ... فاللحم هو المحدَّث عنه و هو المقصود، والخنزير جاء بعرضية الإضافة إليه.[12]

من الباحثين الذين تناولوا دراسة الإحالة في تحليل الخطاب الديني نجد الباحثة الزهرة التوهامي ، رسالتها لنيل درجة الماجستير " الإحالة في ضوء لسانيات النص و علم التفسير من خلال تفسير التحرير و التنوير."[13]

3 – 1 – 2 – الوصل conjunction و الفصل disjunction

من مظاهر الاتساق حروف العطف التي تحقق خطية الخطاب لأنها تربط بين سلسة من الكلمات والجمل مؤدية علاقات دلالية و منطقية بينها ، و بذلك تحقق التماسك النصي. و لقد تطرق علماؤنا القدامى من لغويين و مفسرين وأصوليين و غيرهم إلى مراعاة ما تؤديه هذه الوسائل اللغوية من دور بارز في توجيه تأويل النص وتفسيره ، و درسوها ضمن مبحث حروف المعاني إما في مؤلفات خاصة أو بشكل ضمني في طيات كتبهم . وكان تحديد المعاني التي تؤديها هذه الحروف مناط اختلاف أحيانا بين الفقهاء و المفسرين في استنباط الأحكام الشرعية نذكر من ذلك مثالا واحدا فقط . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ

النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة : 6]

يظهر في هذه الآية الكريمة الدور البارز الذي تؤديه حروف العطف (ف ، و ، أو) في تماسك النص و ترابطه دلاليا ، بالإضافة إلى المعاني التي يؤديها كل حرف . و تقوم هذه الحروف بما يسمى بالربط الإضافي « حيث يتم الربط بين الجمل عبر إضافة معنى جديدا إذ تضيف كل جملة لاحقة إلى سابقتها عنصرا إخباريا جديدا سواء عبر التتابع من خلال الأدوات مثل (الواو – الفاء) أو عبر التخيير بإضافة أحد المعنيين من خلال الأدوات مثل (أم – أو)، فيسهم تراكم الدلالة في بناء معنى النص.»(14) و قد يفيد الرابط (أو) التفصيل كما هو وارد في الآية السابقة، و أحيانا يكون المعنى الذي يؤديه الرابط محل اختلاف بين العلماء ، فينتج عن ذلك اختلاف في استنباط الحكم الشرعي ، لذلك فقد «اختلف العلماء في حكم الترتيب في الوضوء تبعا لاختلافهم في معنى الواو. ذهب الحنفية إلى أن الترتيب لا يشترط في الوضوء ، لأن الواو لا تفيد الترتيب . و ذهب الجمهور إلى أن الترتيب شرط.»[15] و يركز المهتمون بتحليل النص الديني في دراستهم لهذه الروابط اللغوية على دراسة ما تؤديه من ترابط دلالي بين أجزاء الخطاب الذي يساهم في تحديد الحكم الشرعي أو تأويل و تفسير النص الشرعي وفق السياق الواردة فيه .

و من أنواع الربط الواردة في نص الآية السابقة الربط الشرطي من خلال الأدوات الشرطية (إذا – إن) «وتستخدم هذه الأدوات في الربط بين جملتين متعاقبتين.»[16] كما في [المائدة : 6].

3 – 1 – 3 – الحذف : Elimination أو Ellpis

ظاهرة الحذف تجاذبتها عدة تخصصات لغوية منها النحو و البلاغة و النظرية التوليدية التحويلية ولسانيات النص . فقد « أخذت بعدا آخر لغويا مع لسانيات النص ، إذ أصبح التركيز عليها باعتبارها إحدى الأدوات التي تحقق تماسك النص ... (فاللغة) تميل إلى الإيجاز

أو الاقتصاد تجنبا للتكرار حتى لا يقع ثقل و ترهل في الكلام، مع ضرورة وجود قرائن تدل على المحذوف تجنبا للغموض.»[17]

و الذكر هو الأصل و الحذف عدول عنه لأغراض مختلفة ، و قد بيّن "عبد القاهر الجرجاني" في دلائل الإعجاز مزية الحذف مبينا أنه « باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، و الصمتَ عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبن.»[18] و الحذف تعددت أنواعه في القرآن الكريم و الحديث الشريف و تباينت أغراضه، و لم يدرسها المهتمون بالنص الديني من جانب شكلي فقط، بل تطرقوا إليها عندما تقتضي الضرورة لبيان حكم أو إزالة لُبْس لإيضاح أمر أشكل فهمه. و قد خصص الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن/ج3" فصلا كاملا تحدث فيه عن أنواع الحذف في القرآن الكريم (حذف اسم ، فعل ، جملة ، حرف) وتقدير المحذوف و القرائن الدالة عليه .

و من أمثلة الحذف قوله تعالى : ﴿ وصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ۚ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء : 11] تقدير المحذوف "حظ" أي : للذكر حظ مثل حظ الأنثيين . فالدال على هذا اللفظ المحذوف هو كلمة "حظ" المذكورة فالمرجع هنا داخلي لاحق . و أحيانا يختلف تقدير المحذوف عند بعض العلماء لاختلافهم في اعتماد القرينة الدالة عليه ، من ذلك قوله تعالى : أيحسب الإنسان ألّنْ نجْمع عظامه (3) بلى قادِرِين على أنْ نُسوّي بنانهُ(4) .﴾ [القيامة : 3 و 4]. تقدير المحذوف عند سيبويه "نجمعها" أي : بلى نجمعها قادرين ، فقادرين حال و حذف الفعل للدلالة، و قدّره الفرّاء (نحسب) لدلالة أي بلى نحسبنا قادرين . و تقدير سيبويه أولى.[19] و قد بيّن الزركشي فوائد

الحذف في القرآن الكريم نوجزها فيما يلي : منها التفخيم و الإعظام لما فيه من الإبهام ، طلب الإيجاز و الاختصار، الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر...[20]

و قد عالج الأصوليون الحذف في مبحث الاقتضاء ، فقد حدّدوا المقتضى بأنه : «جعل غير المنطوق منطوقا لتصحيح المنطوق.»[21] و نتج عن ذلك أحيانا اختلاف في استنباط الحكم عند بعض الفقهاء تبعا لاختلافهم في تقدير المقتضى . و من أمثلة ذلك الحديث الشريف الآتي : عن سُمَرَة بن جُنْدُب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**عَلَى الْيَدِ ما أَخَذَتْ حَتَّى تُؤَدِيه.**»[رواه أحمد ، و الأربعة ، و صححه الحاكم.][22] هذا الحديث يتضمن محذوفا يقتضي تقديره ، « و من العلماء من قدّر : حفظ ما أخذت، ومنهم من قدّر ضمان ما أخذت . فمن قدّر الحفظ لم يوجب الضمان على الوديع و المستعير، ومن قدّر الضمان أوجبه عليهما.»[23]

3 – 1 – 4 – التوابع :

التوابع لها دور في ترابط النص و تماسكه ، و هي أربعة كما هو معلوم "العطف والتوكيد و النعت والبدل" . فالعطف و البدل اهتم بهما اللسانيون المحدثون الدارسون للسانيات النصية ، أما النعت والتوكيد فلم يذكروهما من وسائل سبك النص رغم أنّ «التوكيد لا يقل أهمية عن العطف و النعت في تحقيق السبك النصي ، مع عدم ذكر النصيين له مثل النعت . و النعت و التوكيد كلاهما مستخدم بكثرة في القرآن الكريم . أما الإبدال فقد عنى به القدماء و المحدثون على حد سواء ، القدماء تناولوه بوصفه تابعا من التوابع . والنصيون تناولون بوصفه وسيلة من وسائل السبك النصي.»[24] و العطف قد سبق الحديث عنه في جزئية الفصل و الوصل .

و المهتمون بتحليل النص الديني يركزون على البعد الدلالي لهذه التوابع و إبراز دورها في تماسك النص و ترابطه لتحديد وظيفتها في تفسير النص و تأويله لاستنباط الأحكام الشرعية مثل تخصيص العام وتقييد المطلق . و من ذلك تحديد الأصوليين للصفة باعتبارها

فرع من المخصصات المتصلة ، و هذا يعني أن لها مرجعية داخلية سابقة تسهم في تماسك النص و ترابطه ، لأنها « اللفظ الذي يصرف العام عن عمومه، و يحصره فيما تتحقق فيه هذه الصفة ... و الغالب في الصفة أن تأتي مخصصة للموصوف قبلها... من أمثلتها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ۚ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۚ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ۚ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النساء : 25]. فكلمة (فتياتكم) عامة ، خصصتها الصفة (المؤمنات)، فقصرت الحكم على ما تصدق عليه، وأخرجت ما عداه.»[25]

كما اعتبر البدل عند الأصوليين و الفقهاء خاصة (بدل بعض من كل) من المخصصات المتصلة، وهو ما يبيّن ترابط النص و تماسكه دلاليا لأنه يحقق مرجعية داخلية سابقة ، فهو « تابع مقصود بالحكم، يسبقه ما يمهد له ، و ليس مقصودا لذاته ... و ذلك بأن يذكر الكل أوّلا ، ثمّ يذكر بعض منه على أساس أن المقصود بالحكم هو الثاني دون عموم الأول . أمثلته :

قوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : 97]. فلفظ الناس عام ، يشمل المستطيع و غيره ، لكن لما ذكر البدل بعده خُص بالمستطيع ، و سقط بذلك الصبي و المجنون ، و المريض و الذي لا يجد مالا، لأنهم لا يستطيعون.»[26] فهذا الترابط النصي الذي أفاده البدل هو الذي بيّن الحكم الشرعي المقصود المخصص به من عموم سابقه . و الأمثلة على ذلك كثيرة جدا في القرآن الكريم والحديث الشريف. و النعت والبدل يعتبران من وسائل سبك النص و اتساقه لأنهم يحققان امتداده واستمراريته.

3 – 1 – 5 – الاستبدال Substitution

الاستبدال وسيلة من وسائل سبك النص النحوي ، و « يقصد بالاستبدال إحلال كلمة محل كلمة أخرى، وهذه الكلمة لا تكون ضميرا شخصيا ... (ف) العلاقة بين الاستبدال والحذف هي علاقة التضمين فالاستدلال يتضمن الحذف ، بمعنى أن الحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلا من أشكال الاستبدال.»[27] أما الدور الذي يؤديه الاستبدال فإنه يعمل على «مد / توسيع السيطرة الدلالية لجملة ما بالنسبة إلى الجملة التالية، كما أنه وسيلة ... لتجنب تكرار نفس التعبير. أو هو وسيلة من وسائل الاقتصاد في الاستخدام ، حيث تسمح لمستخدمي اللغة بحفظ المعنى مستمرا في الذاكرة النشطة دون الحاجة إلى التصريح به مرة أخرى.»[28] و يقع الاستبدال في أنواع مختلفة من الوحدات اللغوية ، أي على مستوى الاسم أو مستوى الفعل أو استبدال جملة بما ينوب عنها ، و هذا كثير جدّا في القرآن الكريم والحديث الشريف ، و من أمثلته : قوله تعالى: ﴿ ا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا..﴾ [النساء : 95]. نجد في هذه الآية قوله تعالى : (كلاّ) نابت عن كلمتين هما (القاعدون) و(المجاهدون) ، لأنّ «تنوين (كلًّا) تنوين عوض عن مضاف إليه و التقدير : و كلُّ القاعدين و المجاهدين.»[29] فهذا الاستبدال ساهم في تماسك النص و ترابطه لأن له إحالة داخلية قبلية.

ب – وسائل الاتساق المعجمي :

هو مظهر آخر من مظاهر اتساق النص ، حيث « يحدث الربط بين أجزاء الجملة ، أو المتتالية الجملية، من خلال استمرار المعنى السابق في اللاحق ، بما يمنح النص صفة النصية، حيث تتضافر الوحدات المعجمية على نحو منتظم في اتجاه بناء الدلالة الكلية.»[30] و يتحقق الاتساق المعجمي عبر ظاهرتين لغويتين تكشف عنهما خطية النص: التكرار و المطابقة.[31] أو التضام كما يسميها البعض.[32]

3 – 2 – 1 – التكرار Récurrence أو Réiteration:

يتمثل التكرار في إعادة عنصر أو مجموعة من العناصر اللغوية في بداية كل جملة من جمل النص لغرض التأكيد.[33] يكثر التكرار بمختلف أشكاله و صوره في القرآن الكريم و الحديث الشريف يؤدي دورا مهما في بناء النص و تماسكه ، كما يحقق أغراضا بلاغية ودلالية مختلفة . حيث « يأتي أسلوب التكرار بصوره المتعددة وتوزيعاته المتنوعة في جسد الخطاب النبوي على رأس الأساليب التي انتقاها رسول الله ﷺ لإقناع المتلقي.»[34] ومن الأحاديث النبوية التي ورد فيها التكرار ما يلي:

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ: خِيارُهُم فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُم فِي الإِسْلَامِ إذا فَقُهُوا ، و تَجِدُونَ خِيارَ النّاسِ في هذا الشَّأْنِ أَشَدَّهُم لَهُ كَرَاهِيَةً ، وتجدون شَرَّ النّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ ، الّذي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ ، وهؤلاء بِوَجْه.**» متفق عليه.[35] و هذا التكرار الذي تمثل في انتشار هذه الوحدات اللغوية داخل النص يحقق التواصل و الاستمرار الدلالي مما يسهم في ترابطه و تماسكه. «ولا يخفى أن التصريح بالاسم مكررا له قوّة في الدلالة و في اللفظ ، ومن ثَمّ في تحقيق التماسك.»[36]

3 – 2 – 2 – المصاحبة اللغوية أو التضام Collocation أو المطابقة Dénotation

الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق المعجمي هي المصاحبة اللغوية أو التضام ويسميها البعض بالمطابقة وهي تساهم في « ترابط العناصر اللغوية بعضها مع بعض ، من خلال علاقة التقابل أو التعارض ، ويتم الربط من خلال توقع القارئ للكلمة المقابلة.»[37] حيث يرتبط عنصر بعنصر آخر من خلال الظهور المشترك المتكرر في سياقات متشابهة . حيث يمكن توقع ورود كلمة محددة في النص من خلال ذكر كلمة أخرى فيه.[38] و قد ذكر يسرى نوفل علاقات التضام التي ذكرها هاليداي و رقية حسن من أهمها الآتي :

. التباين : و له درجات عديدة (تضاد: "حي/ميت" ، تخالف: "أحب/أكره" ، تعاكس: "باع/اشترى".) و التنافر، و علاقة الجزء بالكل ، و التلازم الذكري : (مريض / طبيب)...[39]
ومن صور علاقات التضام في الحديث النبوي الشريف مثلا نجد الحديث الآتي :

– عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« **إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ ، و إنّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ و إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا ، وَ إِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ وَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا.**» متفق عليه.[40] فالكلمات الآتية (الصدق/الكذب ، البر/ الفجور ، الجنّة / النار، صدّيقا/ كذّابا) بينها علاقة تضاد وبالتالي نوع التضام هو تباين. و هذا التضاد هو ما يجعل المسلم في موقف الموازنة بين أمرين متباينين وما يؤول إليه كل منهما و هو ما يسمى بحجة الترجيح لإقناع المتلقي بسلوك أحسن الأمرين واجتناب أسوئهما باستخدام منطقه الفطري.

و الكلمات (الصدق و البر و الجنّة) و كذلك الكلمات (الكذب و الفجور و النار) تحقق تضام نوعه (تكامل) فالأوّل يقود إلى الثاني و هذا الأخير يؤدي إلى الثالث الذي هو النتيجة أو المستقر الأخير الأبدي . حيث نجد « المقابلة في هذا الحديث بين الخلق الحسن و التدرج معه إلى حسن عاقبته وبين الخلق الذميم و التدرج معه حتى يرى المخاطب سيء عاقبته.»[41]

4 – أهمية توظيف هذا المنهج في تحليل النص الديني و علاقته بتعليمية اللغة العربية

تظهر أهمية توظيف هذا المنهج في تحليل النص الديني بالنسبة إلى تدريس لسانيات النص في كليات اللغة العربية في العالم الإسلامي أنها تبعث في هذه الدراسات الشكلية المجردة الجافة شيئا من الطلاوة و المتعة الفكرية في تذوق و كشف الدلالات الخفية والمعاني المقصودة التي تدل عليها تلك العناصر اللغوية التي هي من وسائل سبك النص، و تبيّن كيف استغلها علماؤنا القدامى في تحليل النص الديني و استنباط الأحكام منه. و لا نعني بذلك أن علماء المسلمين القدامى المهتمين بتحليل النص الديني لم يتفطنوا إلى جزئيات هذا المنهج اللساني

الحديث ، فقد تطرّقوا إلى كثير من هذه العناصر اللغوية ودرسوها دراسة وظيفية لإبراز المعاني التي تؤديها و الدلالات التي توحي إليها.

كما أن مراعاة وسائل ترابط النص و تماسكه سبكا و حبكا تقتضي مراعاة التعالق الدلالي بين أجزاء النص ، و بين المحيل و المحال إليه ، و البحث عن مرجعية الترابط الداخلية و الخارجية و تحديد مقصدية النص كل هذا يقدّم خدمة جليلة لتحليل النص الديني و يساهم بقسط كبير في تنمية مهارات تحليل النصوص من الناحية الدلالية خاصة ، و هو ما يمكن استثماره في مجال تعليمية اللغة العربية.

5 – خاتمة

- العناصر اللغوية التي هي من وسائل سبك النص و اتساقه تتوفر بشكل بارز في ثنايا النص الديني مما يجعله مجال خصبا لإثراء هذه الدراسات اللسانية الحديثة. و ذلك باعتماد القرآن الكريم أو الحديث الشريف كمدونة لتطبيق البحوث الجامعية في مجال هذا التخصص.
- توظيف مبادئ لسانيات النص في مجال تحليل النص الديني يعتبر خدمة متبادلة بين هذين المجالين و هو ما ينادي به التوجه الحديث "تداخل العلوم" ، لأن الفصل بين مناهج هذه العلوم يجعل كل علم منغلق على مبادئه فقط ، و هذا ما يقلل من الاستفادة مما توصلت إليه العلوم المجاورة من آليات و وسائل وطرق منهجية .
- يجب تطعيم الدراسات اللسانية المتعلقة بنحو النص بما تطرق إليه المفسرون وعلماء الأصول من فوائد لغوية عند دراستهم لدور هذه الوحدات اللغوية – المساهمة في سبك النص – في الكشف عن اللطائف الدلالية لتفسير النص الديني و حسن تأويله ، و هو الأمر الذي يفيد تعليمية اللغة العربية لتنمية مهارات التحليل اللغوي عند الطلاب.

- قداسة النص الديني تقتضي منا الحذر عند تطبيق المناهج الغربية و إسقاط مبادئها علية، فلا بد من التروي و التمحيص لإبعاد ما يتنافى و خصوصية هذا النص المقدّس ، باعتبار أن هذه المناهج الغربية اجتهاد بشري قاصر لا تحكمه الضوابط الدينية لأنه يستند على الخلفية الفكرية الفلسفية البحتة التي لا تراعي حرمة ديننا لأنه خارج عن اهتمامها.

الهوامش:

1 – جميل حمداوي ، محاضرات في لسانيات النص ، شبكة الألوكة ، ط 1 ، 2015 ، ص 17 .

2 – عبد الرحمن بودرع ، في لسانيات النص و تحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم ، المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، 16 / 02 / 2016 م، كرسي القرآن و علومه ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، ص 20.

3 – يسري نوفل ، المعايير النصية في السور القرآنية – دراسة تطبيقية مقارنة ، دار النابغة ، الإسكندرية ، مصر ، ط1، 2014، ص 37.

4 – نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب – دراسة معجمية ، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، 2009 ، ص 81 .

5 – محمد خطابي ، لسانيات النص – مدخل إلى انسجام النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان والدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1991، ص 5 .

6 – يسري نوفل ، المعايير النصية في السور القرآنية – دراسة تطبيقية مقارنة ، ص 39.

7 – المرجع السابق ، ص 40.

8 – محمد خطابي ، لسانيات النص – مدخل إلى انسجام النص ، ص 16 و 17 .

9 – محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع ، أسباب اختلاف المفسرين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية، ط1 ، 1995، ص 73 .

10 – رواه مسلم في كتاب البر (باب تحريم ظلم المسلم) رقم 32 / 2564 . أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، المشهور بـ (صحيح مسلم) ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية، الرياض ، السعودية ، 1998 ، ص 1035 . و هو جزء من حديث طويل ..

11 – عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام ، القاهرة ، مصر، ط3، 2010، ص137.

12 – المرجع السابق ، ص 137 و 138 .

13 – الزهرة التوهامي ، الإحالة في ضوء لسانيات النص و علم التفسير من خلال تفسير التحرير و التنوير، رسالة ماجستير ، إشراف سالم سعدون، جامعة البويرة ، 2010 / 2011 .

14 – عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية و التطبيق ، تقديم سليمان العطار ، مكتبة الآداب ، القاهرة، مصر ، ط2 ، 2009 ، ص162.

15 – عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين ، ص202.

16 – عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية و التطبيق ، ص 166 .

17 – عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية و التطبيق ، ص 169 .

18 – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، قرأه و علق عليه محمود شاكر ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ، ط 3 ، 1992، ص 146.

19 – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر، (د. ت)، ص 208.

20 – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 104 و ما بعدها.

21 – عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين ، ص 312 .

22 – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، بلوغ المرام من عمدة الأحكام ، تحقيق عبد المحسن بن محمد القاسم ، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية ، ط1 ، 2015 ، ص 278.

23 – عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين ، ص 314.

24 – يسري نوفل ، المعايير النصية في السور القرآنية – دراسة تطبيقية مقارنة ، ص90 .

25 – عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين ، ص385 و 386.

26 – عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين ، ص387 و 388.

27 – عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية و التطبيق ، تقديم سليمان العطار ، ص 113.

28 – المرجع السابق ، ص 114.

29 – محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 5، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984، ص172

30 – عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية و التطبيق ، ص 105 .

31 – ليندا قياس ، لسانيات النص النظرية و التطبيق – مقامات الهمذاني أنموذجا ، تقديم عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2009 ، ص 124.

32 – يسري نوفل ، المعايير النصية في السور القرآنية – دراسة تطبيقية مقارنة ، ص99.

33 – ليندا قياس ، لسانيات النص النظرية و التطبيق – مقامات الهمذاني أنموذجا ، ص 125.

34 – فوز سهيل كامل نزال ، التكرار في طائفة من أحاديث الرسول ﷺ دراسة وظيفية أسلوبية لأسلوب من أساليب الإقناع في الخطاب النبوي ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، المجلد 7 ، العدد (1/أ) ، 2011 ، ص 163 .

35 – رواه البخاري في أول باب المناقب رقم (61/ 3493 ، 3494) ، و مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب خيار الناس) رقم (199/ 2526) . الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، **صحيح البخاري** (هو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ و سننه وأيامه) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سوريا ، (طبعة جديدة مضبوطة ومصححة و مفهرسة) ط 1 ، 2002 ، ص 864 و 865 . + أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، المسند الصحيح المختصر من السنن ... ، المشهور بـ **(صحيح مسلم)** ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، السعودية ، 1998 ، ص 1021 .

36 – يسري نوفل ، المعايير النصية في السور القرآنية – دراسة تطبيقية مقارنة ، ص104.

37 – ليندا قياس ، لسانيات النص النظرية و التطبيق – مقامات الهمذاني أنموذجا ، ص 134.

38 – يسري نوفل ، المعايير النصية في السور القرآنية – دراسة تطبيقية مقارنة ، ص113.

39 – جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 108.

40 – رواه البخاري في كتاب الأدب(باب قوله تعالى :«... و كونوا مع الصادقين») رقم 6094) .، صحيح البخاري، ص 1525 . و مسلم في كتاب البر (باب قبح الكذب و حسن الصدق.) برقم (103 / 2607، صحيح مسلم ، ص 1048 .

41 – حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، رئيس الفريق العلمي ، و آخرون ، كنوز رياض الصالحين ، ج 18 ، دار كنوز إشبيليا ، الرياض، السعودية ، ط 1 ، 2009، ص300 .